













# الديرة الخفية

# الديرة الخفية

## قصة كويصة

في إحدى الأمسيات استضئنا بسور رجلنا من قربتنا، تلك التي كان والدي موطئا فيها قبل أن يحال على التقاعد. كنت هاتين لانياء القربة بعد أن خلفناها وراونا منذ زمن. والدي وجه السؤال الأول إلى الزاوي: «ما هي أخبار عائلة جيتن؟ وماذا فعلوا بأرضهم؟»

ليست على ما يرام، دون بريلو، لقد خيبت الأرض أمالهم.

زوجة أبي، المرأة العجوز التي تمنني بنفسها دائما، أرهقت السمع وأخذت تنظر إلى الأعلى وتحرك بأصابعها رقعة الصوان المعلقة بقنبلة الدواء التي في يدها.

أردف والدي معقبا على سؤاله: «ظننت أنهم يجنون محصولا جيدا».

كنت هاتين وشك مفادرة البيت، ولكنني وقفت وسألت الرجل الضيف: «سوزان لا تزال هناك، اليس كذلك؟»

قبل أن يتوجه الرجل، تجمع وجه زوجة أبي وتقلصت ملامحها بقسوة.

سوزان ماتت في العام المنصرم، ألا تدري؟

كلا، أنها لم تمت.

قللت هذا بلا أرادة حين سمعت جواب الرجل، ثم عدلت من قامتي وكأني أحاول تكذيب أذني والتخفيف من حدة الصدمة، وأردفت مؤكدا: «لا أصدق».

مشيت ولكن والدي أوقفني:

هل تريد أن تعيش إلى الأبد يا ولد؟

نعم أريدها كذلك. قلت ببساطة وهدهو.

ما رأيك أن أتيا مانويلا؟ سألت زوجة أبي بحس، لم تنفوه بكلمة بل ولم ترفع عينيه من الرقعة المعلقة بقنبلة الدواء، لقد أمسست عاجزة عن فرض قسوتها علينا مثلما كانت تفعل أيام شبابه.

مسحة من الألم تغطي وجه أبي، اتحنس خوفه من أفلات زمام الموقف فجأة من الأبدى، وحين لم تنفوه مانويلا بشيء، دوت بوجهي نحو الرجل الضيف، كيس الليوم الذي كان قد حله لنا من القربة لا يزال فوق المنضدة.

كيف علمت بالخبر، هل شاهدت وفاتها؟

«يا له من سؤال سخيف». انفجر أبي قائلا: «هل نظر الرجل أحد أفراد عائلة سوزان، أم ماذا؟»

كان أبي هائجا، يغلي ثورته بابتناسمة زائفة ليثبت أنه لم يفقد أعصابه بعد، إلا أنه لم يبد أية حركة. تجاهلت سؤاله، زوجة أبي تحديق في قبينة الدواء وتقلبها بين يديها المذابتين.

الحقيقة...

بدأ الرجل يتكلم، ولكن أبي قاطعه بمصيبة:

الحقيقة ماذا؟

الرجل يعود إلى الكلام بهوده:

الحقيقة ليست من أقارب سوزان ولا من أصدقائها، بل ولم أعش قريبا منها، ولكنني شاهدت موتها صدفة، كانت ميتة غريبة، لقد ماتت من الجوع!

استمرت من زوجة أبي نظرة لاري تأير ما قيل على وجهها، كانت صامتة لا تنبش بشيء، فقط انحنيت إلى الأمام ووضعت قبينة الدواء على المنضدة، ثم تكلمت موجهة الكلام لأبي:

لم يغني هذا الدواء أبدا.

أراد أبي أن يقول شيئا ليثير الموضوع، لكنني تجاهلته، وسألت الرجل الضيف ببرد ووترو:

هل حقا أن سوزان ماتت جوعا، أم أن الموضوع مبالغ فيه؟

ليست هناك أية مبالغة، كنت تتأكد من ذلك لو رايت التفكر أخيرا على بيتها. أجاب الرجل:

سألته مرة أخرى، وأنا أشدد على مخارج الكلمات:

ما كانت تملك حتى حفنة من الرز لتسد رمقها؟

الآن حدث ما كنت أريده، فقد طنت زوجة أبي في الموضوع المناس.

استدارت نحوني قبل أن يتكلم الرجل، وأخذت تحدني بنظرات تنزف الماء وبأسا، نظرات إنسان مريض لا يستطيع أن يتحمل من الأيام أكثر. وكانت الدموع تتراقص في عينيها، ثم أسبلت جفنيها واحتضت رأسها بانكسار.

أما والدي فقد أيقنت أنه يتولى غيظا فوق مقدمه، لقد فهم الموضوع تماما، وأدركت حالة زوجته وهم صحتها.

لم يداننا تصفي إلى الرجل:

استدارت نحوني قبل أن يتكلم الرجل، وأخذت تحدني بنظرات تنزف الماء وبأسا، نظرات إنسان مريض لا يستطيع أن يتحمل من الأيام أكثر. وكانت الدموع تتراقص في عينيها، ثم أسبلت جفنيها واحتضت رأسها بانكسار.

أما والدي فقد أيقنت أنه يتولى غيظا فوق مقدمه، لقد فهم الموضوع تماما، وأدركت حالة زوجته وهم صحتها.

لم يداننا تصفي إلى الرجل:

## كمال عمار

## أحفظ من

## قاموس

## الكلمات

## الفيروزية

## كلمة

## مصدر

في الذكري السادسة ليونيو .. انكلم من متعلق القسوة

أنهض للدنيا والآخرة معا ..

أشقى أكره

حتى في لحظات الفزع الأعظم

حيث يقيم الإفق وتختلط الفكرة

أما حنجرتي بأحداث الفطره

انكلم ..

لا يستوي دور الشيطان الأيك

والله عليم

وكما مودنا الإباء الشعراء

حنل «الثانية» «لحافظ إبراهيم» ..

فليبدأ بأحداث المشق

ولتدخل بتقسيم!

أشقى من أبواب القاهرة السلطانية

«باب النصر»

أحفظ من قاموس الكلمات الفيروزية

كلمة «مصر»

أشقى في السنوات الميلاية

سنة عاشت فيها مصر المصرية

لبسان عربي النبره

مخضر كعقول البرسيم

الوجه الثاني للعلمه

أرفق أن يصيح «يونيو» ماساتي

أن اتقسم على ذاتي ..

أشقى بين الناس يقال بيتي

وأنا من عائق في كنيه «المدح» و «القبلة»

صلى باسم الله وغني لأني

لبسان قديمي الترتيم

في أحلك ساعات الصيف

في الذكري السادسة ليونيو .. غنيت

غنيت ليوم أن يخرج من رحم الدنيا

الإلبسيف

في ميعاد لا يختلف عليه أثنان

لا يخضع لحسابات التنجيم

.....

في أحلك ساعات الصيف

في الذكري السادسة ليونيو .. انكلم

من متعلق القسوة

أنهض للدنيا والآخرة معا ..

أشقى أكره

حتى في لحظات الفزع الأعظم

حيث يقيم الإفق وتختلط الفكرة

أما حنجرتي بأحداث الفطره

انكلم ..

لا يستوي دور الشيطان الأيك

والله عليم!

بأنها سموت، فاسرع لاستدعاء الطبيب، لم تكن لدي فكرة واضحة عما سافعله، كنت متأكدا أنها سموت، وسأقلل احتقر نفسي لأنني تسببت في موتها كما تسببت هي في موت سوزان. تخيلت سوزان ثانية، في هذه المرة رأيتها تبكي بعراة ودل، وحفنة من الرز تسقط من بين ثيابها على الأرض بالقرب من حذاء مانويلا الثمين. تبكي وتتوسل ومانويلا تسب وتلعن، فشرعت بدوار عنيف بلقي. جلست بجانب الباب. وممرت الدقائق بطيء ثقيل بكم الانفاس، وأخيرا سمعت خطوات تقترب، لقد أحضر والدي الطبيب. دلفا إلى الغرفة، وأوصد والدي الباب. وبدأت أنتظر مرآة أخرى. الرجل الضيف، كان يمشي جيتة وذهابا في الصالون حاملا قبعة في يده. كنت أراقبه ورأسي يوج بأفكار غامضة لم أستطع أن أميز منها شيئا. لا أدري كم من الوقت انقضى حين رفعت رأسي ورأيت والدي أمامي، فأدركت أن الطبيب قد غادر البيت.

تعال معي. قال هذا ثم سار أمامي إلى أن وقفت في المطبخ. وأخذ ينظر في عيني كأنه يريد أن يستشف ما في صدري.

الآن أدري أنها سموت؟ قال هذا بصوت وشت ثيراته بأنه يضبط نفسه بصعوبة، لم تنفوه بشيء، وفي خلال لحظات استرجعت في ذهني ما مضى من حياتي معها، خصامنا الدائم، الكراهية التي أحملها لها، ثم بدعا وهي تفتح «بلوزة» سوزان وحفنة الرز تسقط منها على الأرض قرب حذاءها الثمين. وانتفضت على صوت أبي وهو يقول بخشونة:

أذهب لثراك قريبا.

## أمسية حزينة

نفذت ما أمرني به دون تفكير، وفي طريقي إلى غرفتها لحقت الرجل الضيف جالسا لوحده، وكيس الليوم الذي جلبه لنا من القربة لا يزال ينتصب كتمثال قبيح في مكانه. «هل جاء هذا الرجل متعمدا في هذا الوقت لينقل لنا هذه المشكلة»، هكذا كنت أفكر حين مررت به في طريقي إلى غرفتها. أدت مقبض الباب ودخلت.

رجفة خفيفة سرت في أوصالي، وأجلت بصري في الغرفة، كان كل شيء في مكانه، فراشها، الصور المعلقة، رائحة الدواء، والمطور التي استعملتها قبل قليل لا يزال أريجها في الهواء. وشيئا فشيئا اتجهت بنظري إليها. كانت ممددة على السرير ومغطاة حتى صدرها، وكان صدرها يعلو ويهبط بدون نظام.

شعرت بجو الغرفة يجم على صدري ويكتم انفاسي، فربعت في الحرب، في نفس اللحظة تناهى إلى صوتها وهي تقمقم بأشياء لم أميز منها شيئا، إلى أن وضعت ثيراتها شيئا ما، وبدأت تتكلم:

ماذا كان يحدث لو أن سوزان لم تعش بيننا أبدا ..

لا أدري ... أجبها بصوت جامد.

ولكنني أعلم، قالت وكأنها استردت بعض قواها المنهارة، ثم أخذت تنفخ بعنف.

لو لم تعش سوزان بيننا لكنت حياتنا مختلفة تماما.

فتحت عيني بتأمل، وأخذت تنظر إلى الأعلى.

هل تذكر كيف حدث ..؟

نعم أذكر جيدا، قللتا بحدة.

وتكلمت بلن وانكسر.

لم تكن هناك حاجة لأتينا ذلك العمل القبيح .. اليس كذلك؟

## بقلم: أونيليو كاردوسو

بالطبع، ولكنك قمت به بواقحة، ولم تخجل من صراخ امرأة في الأربعين من عمرها، ألا تذكرين وجهها كيف كان وهي تبكي وتمرح من الخجل؟

لم أحاول أن أبذل لهجتي أثناء الكلام، وانحنيت عليها لأري وجهها، ولكنها بدت وكأنها لا تعي شيئا، لم أكن متأكدا هل أنها ما زالت حية أم لا، ولكنها بدأت تتكلم بصعف.

لا أتذكر وجهها كيف كان، وإنما كنت أسمع صراخها وتوسلها كنت أنظر إليك لأري رد فعلك لضيقها وهي تسرق.

ولكنك لم تنظري ظويلا لكي تري.

كنت هائجة جدا.

أما كنت تعرفين بأن سوزان كانت أمي، أو أنها أصبحت



فتاتان من القربة (حفر على الخشب) للرسم عبد عابدي

## في الشفق

## للشاعر العبري: مردخاي ابي شاول

برودة الموت شرطت النهار  
وقى صدغي أضافت  
نبتنا قرأص خائف

لان شفاء الاطفال لم تقطر  
رحيق الصل  
قبل النهوض من النوم، هذا الصباح

انفجر بريق عيونهم، وانتشر  
على الشارع التشنج  
قبالة السماء المبرقعة  
التي احناها الرب غير المبالي

لم يستطيعوا السؤال لما  
لن يشاهدوا حسانا خشييا  
أو دمية تتناوم أو مصفورة  
تتناقز في الكتاب.

صورة فقط سنظل تشهد على المعمر  
صورة متألقة، فرحة  
تتلذذ بعد الاغتسال  
في قلبه حل لا يموت

صوت ضحكهم عند الشفق  
مثل تدفق الدماء من نبع ناضب  
بحيرات ارجوان علامة استفهام  
مرعبة ترسم  
على الخد المخلبي.

انهم لم يتمكنوا من طرح السؤال  
اليوم  
لماذا هرب العالم.

(ترجمة: س. د.)

أبي بعد أن أضرعتني مع طفلي الأصغر.

مانويلا لم تنفوه بشيء، إلا أنها اقتربت برأسها من حافة السرير وأخذت تنظر إلى

سأعترف لك بكل شيء، فهل تسمعي؟

أومات برأسي صجييا. ثم بدأت تتكلم بنبرة قريبة ووددت

لو لم اسمعها أبدا.

«دخلت بيت والدك كزوجة قبل والدك، وقد جمعتني رغبة عابرة كان ذلك في زمرة جلدك، ووالدك الشاب هناك، وكنت فتاة بائسة، كان الوقت ربيعا والحقول الخضراء أخرجت كل زهورها الجميلة والحيوانات في موسم الحب. كنا نتمشى في الحقل، وحين وصلنا إلى مكان خلف سياج المزرعة، لم يتمكن والدك أن يكبح جماح نفسه ولم أستطع أن أوقفه عند حده، وهكذا تم كل شيء بسرعة. وفي اليوم التالي حيات والدني الحقائق، وأوصلنا جلدك إلى الطريق، لقد عرفت والدتي بالامر ولم أكن أهتم لذلك، كنت انكسر بالطفل الذي سيولد لي، ماذا أفعل به. وفي أحد الأيام جاء جلدك وأخذني إلى البيت كزوجة لوالدك لأجل الطفل الذي سيولد لنا. وتربعت الأيام بعد ذلك وأنا أنتظر ولكن الطفل لم يأت، لقد كنت أشبه بالفتاة الفارغة، الجنس والحب والعقم».

توقفت عن الكلام وبدت منهارة تماما وتبدلت ملامحها بغرابة، ظننت أنها لن تقدر فعها ثانية، وتحولت عنها ولكن أخرجت بدعا من تحت الغطاء، فتوقفت.

هل تنتظر قليلا، قالت.

ثم دخلت والدك البيت كزوجة ثانية، كانت صغيرة وجذيلة، ولم أكن كذلك.

وبعنفوة رفعت نظري إلى صورة والدني المشية في الحائط، لقد كانت مانويلا صادقة، لم تكونا متشابهتين في شيء! العنق المائج الطويل لوالدي، وجهها المشرق الجليل، وعيناها الواضعتان. أما مانويلا فلم تكن تملك شيئا من هذا.

«زوجا وفي يوم مولدك ماتت هي، كنت آنذاك بعيدة عن البيت لم أعرف من الأمر شيئا، لقد كانت سوزان معها، وكان لها طفل وولد قبل أشهر فأرضعتك معه، ثم قالني والدك وأرجعني إلى البيت ثانية، حسنا ماذا كنت أريد أكثر من ذلك، ولكنني لم أغير، فقد بقيت نفس الفتاة الفارغة». هذه المرة سكنت نهائيا، وسقطت ذراعها من فوق صدرها على جانبها، وأخذت أعد لا شعوريا، وأحد، وأثنين، عشرة، عشريين، حتى لم يبق أمل في الاستمرار. كانت الكراسي مبعثرة في أنحاء البيت، ورائحة زهور قوة تملأ المكان.

برزت الحقيقة أمامي غريبة مفاجئة، وغمرني هيجان عنيف من أصوات الناس الذين يحاولون التحدث بهوده. الرجل الذي جانا من القربة بات عنفنا تلك الليلة، وكان ينتقل من مكان لآخر دون أن تبدو على وجهه إمارات التعب أو التذسر، كان طبيعيا جدا، ويتكلم قليلا، ولم يكن يهتم لتجاهلتي الحاضرين له أثناء الكلام، كنت أراقبه، وجهه الهاديء وعظيونه الذي لا يفارق يده. وكان يشفق ذهني سؤال لم أستطع التهرب منه: «لماذا نظرت مانويلا إلى أثناء غسبها لسوزان وهي تسرق؟» كنت أحاول الإجابة في هذا السؤال حين أقبل والدي. كانت ملامحه قد تغيرت تماما خلال الساعات الست التي مرت على وفاة مانويلا، سحب كرسيا وجلس بجانبني، ثم أخذ يتكلم بلا مقدمات:

«أنت تعرف لماذا تحس المرأة العاقرة؟ ثم سكنت وأخذت أنظر إلى النمش المسحاة أمامه بلذ والم، وحول عيني إلى الشموع المنشرة في البيت وإلى كل شيء قبل أن يسبدا بالكلام ثانية:

«كانت مانويلا تعرف منذ البداية أن سوزان تسرق، وكنت أعرف ذلك أيضا، ولم ترغب في طردها، وكانت تعرف مدى كرهك لها، كنت تحب سوزان ولا تفرق عنها أبدا، الرجل يرغب في الأطفال بلا شك، ولكن المرأة ترغب أشد وأكثر. الفكرة جاءتني فجأة وبدون قصد، فإذا بدت أمامك ناحية سوزان السيئة فانك ستتمتعها وتتركها وتنتج نحو مانويلا، هكذا اعتقدت، ولكن الذي حدث كان عكس ما توقعته، وباتت تلك الليلة باكية تنتحب على ما حدث بها، بحق سوزان وبحبك، لقد كانت مانويلا هي الأخرى تحبك». توقف والدي من الكلام، أما أنا فلم أستطع أن أنفوه بشيء، وأخذت أردد عيني بين البعين والشمال، ثم أحييت رأس. كنت أرغب في الهرب والتخلص من هذا الجو الخافت، والذهاب إلى حيث لا يمكنني رؤية أحسد ولا التحدث في هذا الموضوع ثانية. وإذا ما تمكنت من الخلاص من هذا العذاب، فإني لن أفكر في سوزان، بل سأفكر في مانويلا، وإمتني أن أعرف أشبه كثيرة عنها.







على ماير فلنر - بقية